



الخصم القديم

رسالة في علاقة الإنسان بالشیطان

في ضوء القرآن والسنة





فهرس الرسالة

2	تمهيد — حكاية أقدم من التاريخ
4	الفصل الأول — كلمة «أنا»
7	الفصل الثاني — عدوٌ بإعلانٍ رسمي
10	الفصل الثالث — فنُّ الخطوة الصغيرة
14	الفصل الرابع — المشهد الأعظم، خطبةُ الخصم يوم الحساب
17	الفصل الخامس — آدمُ وإبليس، طريقان من لحظةٍ واحدة
20	الفصل السادس — صورٌ من السنة، الشيطانُ في تفاصيل يومنا
25	الفصل السابع — القرين، العدو الذي في بيتك
27	الفصل الثامن — شياطينُ الإنس والجن
31	الفصل التاسع — أبوابٌ كثيرة وعدوٌ واحد
36	الفصل العاشر — في الإيمان والصلاة والبيت
41	الفصل الحادي عشر — الخوف والنسيان والتزيين
48	الفصل الثاني عشر — حصونٌ وأذكار
53	الفصل الثالث عشر — الشياطين والوحي والسحر
58	الفصل الرابع عشر — معارك الصلاة
63	الفصل الخامس عشر — السلاح، وهو أبسط مما تظن
67	الفصل السادس عشر — ميزانُ الاعتدال
70	الفصل السابع عشر — حكمةُ الابتلاء وأدابُ المواجهة
74	خاتمة — الشيطان لا يخلق فيك الشر، بل يوقظه
77	ملحق — مصادر الآيات والأحاديث

تمهيد



حكاية أقدم من التاريخ

قبل أن يعرف الإنسان أنه إنسان، وقبل أن يكتب أول كاتبٍ أول سطر، كانت هناك حكايةٌ تُروى في الملاء الأعلى، لا عن الأرض ولا عن الحرب ولا عن الذهب، بل عن **كلمةٍ واحدةٍ** قالها مخلوقٌ لخالقه فانقلب بها تاريخُ الأرواح كلها: «أنا خيرٌ منه».

هذه الرسالة ليست بحثاً في علم الجن، ولا جدلاً مع المنكرين، ولا تخويفاً للمؤمنين. إنها محاولةٌ للنظر إلى علاقةٍ عجيبة: علاقة المخلوق الضعيف بالخصم الذي لا ينام، كما

رسمها الوحي بيد الحكمة. وما أحوجنا إلى النظر! فمن جهل
خصمه هُزم قبل أن تبدأ المعركة، ومن بالغ في تصويره هُزم
كذلك، فإن الخوف الأعمى أخو الاستسلام.

وسنسير على نهج واحد: لا نقول إلا ما دلّ عليه القرآن، وصحّ
به الحديث، ثم نتأمل ونُحلّل، فإن التأمل لا يزيد على النص
حرفاً، وإنما يفتح العين على ما كان فيه.

الفصل الأول



كلمة «أنا»

يقول القرآن إن الله خاطب الملائكة بأنه خالقُ بشراً من طين، فإذا سَوَّاهُ ونفخ فيه من روحه فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون «إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين». ثم يأتي السؤال الإلهي: «ما لك ألا تكون مع الساجدين؟» فيجيب الجواب الذي صار نشيد كل متكبر على وجه الأرض: «لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقتَه من صلصالٍ من حمإٍ مسنون». وفي موضع آخر: «أنا خيرٌ منه، خلقتني من نارٍ وخلقته من طين».

تأملوا هذه الجملة. ليس فيها إنكارٌ لله. إبليس لم يقل: لا إله. لقد قال: «رَبِّ». لقد اعترف بالخالق، وسأله النُّظرة إلى يوم يُبعثون، وأقسم بعزّته! فما كان كفره جهلاً بالله، بل كان **علماً معطلاً بالعمل**، ومعرفةً لم تُنتج خضوعاً. وهنا أول درس: ليس أخطر على الإنسان من العلم الذي لا يُطأطئ صاحبه.

وإنك لتقرأ في كتب الأدب الكبرى عن «الرجل الذي يعرف الحقيقة ويأبى أن يحني لها رأسه». يعرف أنها حق، ولكن كبريائه أضخم من يقينه. ذلك هو إبليس، لا في صورته المرسومة بالقرون والذيل، بل في حقيقته: **عقلٌ يحسب، وكبرياءٌ تُفسد الحساب**. لقد قاس إبليس الأمر بميزان المادة: نارٌ أشرف من طين. وغاب عنه أن الشرف ليس في المادة بل في الأمر؛ فالأمرُ الإلهي هو الذي يرفع الطين فوق النار، لا

طبيعته العنصر. وكل حضارة قاست الإنسان بعنصره وعرقه
ولونه ومنصبه، فقد قالت في صميمها: «أنا خير منه»، وأعادت
المشهد القديم بأزياء جديدة.

والعقاد لو كتب هنا لقال: إن الكبر ليس خلقاً بين الأخلاق،
بل هو **المحور الذي تدور حوله الرذائل**؛ فمن نزع منه الكبر
نزع من الشر عموده. وهذا ما قاله النبي ﷺ حين عرّف
الكبر: «بَطَرُ الْحَقِّ وَعَمَظُ النَّاسِ»؛ أي رفض الحق حين
يجيئك من غير هواك، واحتقار الناس لأنهم دونك.

الفصل الثاني



عدوٌّ بإعلانٍ رسمي

لم يترك القرآنُ العلاقةَ غامضةً. هي **عداوة**، وقد أعلنتُ إعلاناً رسمياً لا لبس فيه: «إن الشيطانَ لكم عدوٌّ فاتخذوه عدوًّا».

وقد تعجب أن يحتاج الإنسان إلى أمرٍ بأن يتخذ العدوَّ عدوًّا! لكن الإنسان، في حقيقته، كائنٌ يُخطئ في تمييز أعدائه؛ فكم من عدوٍّ يظنه صديقاً لأنه يُطري هواه، وكم من ناصحٍ يحسبه عدوًّا لأنه يعارض شهوته. والشيطان أبرع الخصوم لأنه **لا يأتي بصفة العدو**؛ يأتي بصفة الناصح، كما جاء آدمَ وزوجه:

«وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين». لقد أقسم لهما!
والحلف بالله هو أقدم أدوات الإغواء، فإن الكاذب الماهر
يستعير لسان الصدق.

واعتبر من الصياغة القرآنية دقةً مذهلة: لم يقل «عدوٌ لله»
فحسب، بل قال «لكم»، أي أن المعركة معركتك أنت. ما
يريده منك ليس إيذاءك في جسدك أولاً، بل «ليكونوا من
أصحاب السعير»؛ غايته المصيرُ لا اللحظة. إنه لا يريد أن
يُتْعَسَكَ على الأرض فحسب؛ إنه يريد أن يُخرجك من رحمة
الله، لأنه هو قد أُخرج منها، والمنبوذ يشتهي أن يكثر
المنبذون.

ويُنذِرنا القرآن بأنه «يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم».
وفي هذه الآية مفارقةٌ نفسية عميقة: نحن الذين نرى كل شيء،
لا نرى أخطر ما فينا. والعدو الذي لا يُرى لا يُقاتل إلا بسلاح لا

يُرى كذلك: اليقظة الداخلية.

الفصل الثالث



فُنُّ الخطوة الصغيرة

إذا قرأت القرآن تجد أن الشيطان لا يُخاطب في أول أمره بالكبائر. فإنه خبيرٌ بالنفس البشرية، يعلم أن الإنسان لا يقفز إلى الهاوية، بل ينحدر إليها. ولذلك قال الله: «ولا تتبعوا خطوات الشيطان». ولم يقل «ولا تتبعوا الشيطان». الخطوات! تلك الأقدام الصغيرة التي تبدو بريئة كلَّ البراءة، كلُّ واحدةٍ منها لا تستحق وقفة، فإذا جمعتها وجدت نفسك في وادٍ لا يُعرف كيف دخلته.

وهذا هو العالم الذي صوّره الروائيون الكبار حين أبدعوا في وصف السقوط التدريجي: رجلٌ يقدّم تنازلاً صغيراً من أجل راحةٍ مشروعة، ثم تنازلاً ثانياً من أجل ضرورةٍ عارضة، ثم ثالثاً من أجل «ظروفٍ خاصة»، حتى إذا استيقظ يوماً أمام المرأة لم يعرف الوجه الذي يطالعه. لم يرتكب جريمةً كبرى في لحظة، بل مات ميتةً بطيئة، قطرةً قطرة، وفي كل قطرةٍ مبرّرٌ مقنع. وعبقريّة الشيطان هنا أنه **يمنحك المبرّر قبل الذنب**؛ فهو لا يطلب منك أن تعصي وأنت تعلم أنك عاصٍ، بل يُلبس لك المعصية ثوباً من المنطق: هذا لا يضر، الناس كلهم يفعلون، هذه حالةٌ استثنائية، سأتوب بعدها.

وقد لخص القرآن منهجه في آيةٍ واحدة: «الشيطانُ يعدكم الفقرَ ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً». فكانه يُخيفك من العطاء ليُبقيك في البخل، ويُغريك بالفحشاء

لُيُبْقِيكَ فِي الشَّهْوَةِ. وَقَدْ قَابَلَ الْقُرْآنُ بَيْنَ وَعْدَيْنِ: وَعْدٌ يَبْدَأُ
بِالتَّخْوِيفِ وَيَنْتَهِي بِالفَحْشِ، وَوَعْدٌ يَبْدَأُ بِالمَغْفِرَةِ وَيَنْتَهِي
بِالْفَضْلِ. فَاخْتَرِ مَنْ تُصَدِّقُ.

ثُمَّ هُوَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الشَّهْوَةِ. فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا تُغْرِيهِ
المَعْصِيَةُ الظَّاهِرَةُ، فَيَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ مِنْ بَابِ **الطَّاعَةِ الْمُبَالِغِ**
فِيهَا، فَيَزَيِّنُ لَهُ الْعُجْبَ بِعِبَادَتِهِ، وَالِاحْتِقَارَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ فِي
التَّقْوَى. وَكَمْ مِنْ عَابِدٍ سَقَطَ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُ يَصْعَدُ! وَمَا قِصَّةُ
إِبْلِيسَ نَفْسِهِ إِلَّا أَعْظَمُ شَاهِدٍ: فَقَدْ عَبْدَ اللَّهَ دَهْرًا، ثُمَّ هَلَكَ بِكَلِمَةٍ
وَاحِدَةٍ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ الَّتِي لَا تُنْتِجُ تَوَاضُعًا هِيَ زِينَةٌ عَلَى جِدَارِ آيِلٍ
لِلسَّقُوطِ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي السَّنَةِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ
يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ». وَقَالَ فِي سِيَاقٍ لَطِيفٍ: كَانَ
مَعَهُ إِحْدَى زَوْجَاتِهِ تَمْشِي مَعَهُ لَيْلًا فِي الْمَسْجِدِ، فَمَرَّ رَجُلَانِ

من الأنصار، فأسرعاً، فقال لهما ﷺ: «على رسلكما، إنها صفيّة بنت حُبيّ»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال الحديث، وقال: «وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئاً». ألا ترى كيف يُعلّم النبيُّ أمته أن **سوء الظن** باب، وأن سدّ الأبواب قبل أن تُفتح أحكم من علاجها بعد أن تُكسر؟ وفي هذا الحديث ما يُغني عن مجلدات: أن الشيطان ليس خارجاً عنك يطرق بابك فحسب، بل هو **يتسلل في مجاري نفسك**، فيحتاج الأمر إلى حارسٍ داخلي لا خارجي.



المشهد الأعظم، خطبة الخصم يوم الحساب

في القرآن مشهدٌ لو وُضع في مسرح لاهتزت له القلوب؛ وهو أعمق ما كُتب في تحليل العلاقة بين المُغوي والمُغْوَى. يقول الله تعالى: «وقال الشيطانُ لما قُضي الأمرُ: إن الله وعدكم وعدَ الحقِّ، ووعدتكم فأخلفتكم. وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلا أن أدعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم».

يا للمفارقة! إن الذين اتبعوه طوال الحياة، الذين دافعوا عنه
وبرّروا له وسلّكوا طريقه، يلتفتون إليه عند الحساب فيجدونه
يتبرأ منهم. لقد خانهم كما خان من قبل كلّ من وثق به. وهو
يقول لهم الحقيقة الوحيدة التي لم يقلها قط في الدنيا: «ما
كان لي عليكم سلطان». أي لم أكرهكم، لم أضربكم، لم
أقيّدكم. كل ما فعلته أنني **دعوتُ**، وأنتم **استجبتم**.

هذه الآية مفتاح فهم المسؤولية الإنسانية في الإسلام. فلا
الشیطان سلطاناً قاهر يسلب الإرادة، ولا الإنسان دميةً يحركها.
بل هو دعوةٌ وجواب، ووسوسةٌ وقرار. ومن هنا كان القرآن
حاسماً: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ إلا من اتّبعك من
الغاوین». فالسلطان الوحيد الذي يملكه إبليس هو السلطان
الذي **نمنحه نحن إياه** بأيدينا.

وفي النفس البشرية مَيْلٌ عجيب إلى أن تُلقى بعبء ذنوبها على غيرها: على الظروف، على التربية، على المجتمع، على الشيطان. والقرآن لا يُنكر أن للظروف أثراً، ولا أن للشيطان كيداً، لكنه يضع الإصبع في موضع الداء: «فلا تلوموني ولوموا أنفسكم». وكأن الشيطان، في هذه اللحظة الأخيرة، يقدم للإنسان خدمةً لم يقصدها: يُجبره على مواجهة المرأة.

ويأتي مشهدٌ آخر من مشاهد الحساب، فيه القرين: «قال قرينه: ربنا ما أطغيته، ولكن كان في ضلالٍ بعيد». أي أن الرفيق نفسه، الذي لازمه وزين له، يتبرأ من إطغائه: لم أكرهه، هو الذي كان في ضلال. فيتكرر المشهد كُلُّه: وسوسةٌ ثم براءة، ودعوةٌ ثم إنكار.



آدم وإبليس، طريقان من لحظة واحدة

لقد أخطأ آدم وأخطأ إبليس. كلاهما عصى أمراً إلهياً. ومع ذلك فالأول أبو الأنبياء، والثاني رأس الشياطين. فما الفرق؟ ليس الفرق في الخطأ، بل فيما جاء **بعد الخطأ**.

آدم ذاق ثمرة الشجرة، وأدرك سوءه، وانكسر. وجاء منه الجواب الذي صار دعاء التائبين إلى يوم الدين: «ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين». فاعترف، ونسب الظلم إلى نفسه لا إلى غيره.

أما إبليس فلما سُئل أجاب: «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ». نسب الغواية إلى الله! وبدل أن ينظر في داخله، رفع إصبع الاتهام إلى أعلى. ثم لم يكتفِ بالمكابرة، بل جعل من خطيئته مشروعاً: ساقعد لهم صراطك المستقيم، ثم لآتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيমানهم وعن شمائلهم.

وقد بيّن القرآن كيف دخل الشيطان على آدم: «فوسوس إليه الشيطان قال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟». انظر إلى الطّعم: لم يعرض عليه ذنباً، بل عرض عليه **أَعَزَّ مَا يَشْتَهِيهِ الْإِنْسَانُ**: الخلود والملك. وقال في الأعراف: «فدلّاهما بغرور». والتدلية إرسالٌ من علوٍ إلى سفلى، كأنه أنزلهما بحبلٍ رقيق من منزلة الطاعة إلى منزلة الغفلة. وبعد أن بدت سوائتهما قال الله: «ولباس التقوى ذلك خير». فالعُري الذي كشفته المعصية لا يستره إلا لباس آخر: التقوى.

إنهما رجلان، أو مخلوقان، وقفا في المفترق نفسه: الأول عرف أنه مذنب فبكى، والثاني عرف أنه مذنب فاستكبر. والعبرة التي لا تبلى: **الذنب لا يهلك صاحبه، وإنما يهلكه الإصرار والتبرير.** فكل خطيئة تمر بنا هي في الحقيقة مفترق بين طريق آدم وطريق إبليس. ولا يسأل الإنسان: هل أخطأت؟ بل يسأل: أيّ الأبوين اخترت حين أخطأت؟

وقد قال النبي ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ». فكان التوبة هي ما يفصل الإنسان عن عدوه، وهي باب لا يُغلق ما دام النفس يتردد.



صوّر من السنة، الشيطانُ في تفاصيل يومنا

لم تكتفِ السنةُ بالكلام العام عن الشيطان، بل أنزلته في حياة الناس اليومية، كأنها تقول: لا تظنوا المعركة في السماء وحدها، إنها في غرفة نومكم، وعلى مائدتكم، وفي غضبة لسانكم.

في الصباح الثقيل. قال ﷺ: «يعقد الشيطانُ على قافيةِ رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد، يضرب على كل عقدة: عليك ليلٌ طويل فارُقْ. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة،

فإن تَوْضَأَ انحلَّت عقدة، فإن صَلَّى انحلَّت عقدة، فأصبح نشيطاً طيّب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان». ما أدق هذه الصورة! الكسل الذي تحسبه ضعف جسد، هو في ميزان النبوة **عقدةٌ** تُحلّ بالذكر والوضوء والصلاة. وما أصدقها على كل من جرّب أن يقاوم ثقل الفراش فانتصر عليه، كيف يُصبح خفيفاً كأنه وُلد من جديد.

في ساعة الغضب. حدّثنا الصحابي سليمان بن صُرد أن رجلين استبّا عند النبي ﷺ، فاحمرّ وجه أحدهما وانتفخت أوداجه، فقال ﷺ: «إني لأعلمُ كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». وقال في الحديث الآخر: «إن الغضبَ من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطفأ النارُ بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

هكذا يجمع النبيُّ بين علم النفس وعلم الطبيعة: النار تُخمدُها الماء، والغضبُ يُطفئُه الضوء. وكم من بيتٍ هُدم في لحظة غضب، ولو أمهل صاحبه نفسه دقيقةً لبقى قائماً!

في أعلى ما تملك: علاقاتك. روى مسلم أن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأقربهم منزلةً منه أعظمهم فتنة. يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً. ثم يجيء آخر فيقول: ما تركته حتى فرقتُ بينه وبين امرأته، فيُدينه منه ويقول: «نعم أنت». لاحظ أن أعظم الأعمال عنده ليس قتلاً ولا سرقة، بل **التفريق بين زوجين**. فالشيطان ليس غيبياً؛ إنه يعلم أن الأسرة هي القلعة الأولى للإنسان، وأن من هدم البيت هدم الأمة حَجْراً حَجْراً. وفي حديثٍ آخر صحيح: «إن الشيطان قد أيس أن يعبدَه المصلّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»، أي أنه فقد

الأمل في أن يُعبد صراحةً، فرضي بأن يُوقع العداوة بين المؤمنين. فلا تعجب إذن من خصومة بين صديقين، أو قطيعة بين أخوين، أو فتنة بين جارين؛ ففيها بصةٌ قديمة.

وفي حكاية تشبه الأساطير، وهي حقٌ. روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وكله بحفظ زكاة رمضان، فجاءه آتٍ يحثو من الطعام، فأمسكه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله. فقال: إني محتاج وعليّ عيال، فخلّ سبيله. وتكرر ذلك ثلاث ليالٍ، وفي الثالثة قال الرجل: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرشي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبح. فلما أخبر أبو هريرة النبي ﷺ، قال: «صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟ ذاك شيطان». أتدرون ما أعجب ما في القصة؟ أن الكذوب قد يصدق، وأن

الحق لا يفقد قيمته إذا جاء من لسان سيئ. فعلى المؤمن أن
يزن القول لا القائل، وألا يُغَرَّ بصدق الجملة فيسلم قلبه
لصاحبها.



القرين، العدو الذي في بيتك

أعجب ما في هذه العلاقة أن الشيطان لا يقف على الأبواب، بل **يرافق**. روى مسلم عن النبي ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير».

فتأمل: لكلٍ منا رفيقٌ لا يفارقه، همسٌ يُجاور فكره، صوتٌ يتشابه مع صوته حتى لا يميّز بينهما. وهنا جوهر المعضلة. فإن لم يكن الوسواس صوتاً غريباً مخيفاً يهتف بنا من الخارج، بل

يتكلم بلساننا نحن، ويلبس حروفنا، ويستعمل ذكرياتنا،

فكيف نفرّق؟ كيف نعلم أن هذا خاطر ممّا وهذا من عدونا؟

أجاب العلماء بميزانٍ بسيط: ما دعاك إلى طاعةٍ ورحمةٍ
وتواضعٍ وخير، فمن الرحمن والمَلَك؛ وما دعاك إلى كِبَرٍ وفحشٍ
وقطيعةٍ وإصرارٍ على الذنب، فمن الشيطان. وقد جاء في
الحديث أن للشيطان لَمَّةً بابن آدم وللَمَلَك لَمَّة، فأما لَمَّة
الشيطان فإيعادٌ بالشر وتكذيبٌ بالحق، وأما لَمَّة الملك فإيعادٌ
بالخير وتصديقٌ بالحق. وبهذا الميزان لا يحتاج الإنسانُ إلى
كشفٍ ولا علمٍ خفي، بل إلى صدقٍ مع نفسه ومعرفةٍ بمآلات
الأفكار.



شياطينُ الإنس والجن

لو اقتصر الأمر على عدوّ لا يُرى لهان الخطب، ولكن القرآن يفتح أعيننا على حقيقةٍ أقسى: «وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً شياطينَ الإنس والجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً». شياطين الإنس! فالشيطنة ليست جنساً بل **وظيفة**؛ كل من دعا إلى الشر وزيّنه فقد قام بعمل إبليس، وإن كان له وجهٌ يبتسم وصوتٌ ناعم. ولذلك ختم القرآن المصحف بالاستعاذة من الوسواس الخناس «الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنّة والناس»، كأنه يقول لنا في آخر كلمة: العدوّ يجيئك من الجهتين.

وتأمل قوله: «زخرف القول». الزخرف هو الذهب المموّه، والطلاء اللامع على جدارٍ متصدّع. وأخطر ما في شياطين الإنس أنهم يأتون بالكلمات الجميلة: حرية، وانفتاح، وواقعية، وحقّ شخصي. ثم تنظر خلف الزخرف فلا تجد إلا الدعوة القديمة التي دعا إليها إبليس يوم قال: «لأزَيْنَنَّ لَهُمْ». وليس كل جديد باطلاً، لكن الكلمة الجميلة ليست دليلاً على صدقها، وعلى المؤمن أن يسأل عن الوجهة لا عن الزينة.

ثم تأمل الصحبة، وما أعظم ما قاله القرآن فيها: «ومن يعيش عن ذكر الرحمن تُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ». «يعيش» أي يُعرض ويتعامى، كمن ضعف بصره في العتمة فلا يرى الطريق. وهذا قانونٌ عجيب: من أعرض عن الذكر لم يبقَ

قلبه فارغاً، بل **يُملاً فراغهُ**. فالقلب لا يخلو؛ إما ذكرٌ يسكنه وإما وسواسٌ يحتله. وكم من إنسانٍ ظنَّ أنه يتحرَّر بالإعراض فإذا هو يستبدل سيِّداً بسَيِّد!

وفي القرآن مشهدٌ يهزُّ القلب، هو مشهد الندم على صديقٍ سوء: «يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني، وكان الشيطان للإنسان خذولاً». لاحظ أنه لا يذكر اسمه: «فلاناً»؛ لأن القصة قصة كل إنسانٍ مع كل صاحبٍ أضلّه. ويقول في موضعٍ آخر: «الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين». فالصداقات التي بُنيت على غير تقوى تنقلب يوم الحساب خصومةً، كما تبرأ الشيطان من أتباعه.

ومن أخبث صور هذه الشيطنة **النجوى**: «إنما النجوى من الشيطان ليَحْزُنَ الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا باذن الله». الهمس في المجالس، والتلميح الخبيث، والإشاعة التي

تُلْقَى فِي أُذُنٍ لَتَتَوَلَّمَ قَلْبًا. وَغَايَتَهَا الْأُولَى **الْحُزْنَ** وَكَسَرَ النَّفْسَ،
لَا الْأَذَى الْمَادِي. وَفِي الْآيَةِ تَسْلِيَةٌ عَظِيمَةٌ: «وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ
شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»، فَمَنْ وَثِقَ بِرَبِّهِ لَمْ يَزِدْهُ الْهَمُّ إِلَّا ثَبَاتًا.



أبواب كثيرة وعدو واحد

باب الأمانى. قال إبليس: «وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مُنِّيْنَهُمْ». وقال القرآن في وصف عمله: «يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيْنَهُمْ، وَمَا يَعْدهم الشيطان إِلَّا غُرُورًا». ولعل أخطر أسلحته كلها هو **التسويق**: غداً أتوب، بعد هذه المرة، حين أستقر. إنه لا يطلب منك أن تُنكر الآخرة، يكفيهِ أن تُؤجلها. وهو يحوّل رحمة الله، وهي أعظم رجاء، إلى رخصةٍ للذنوب، فيبدّل الرجاء بالأمنية. والفرق بينهما أن الرجاء **يعمل**، والأمنية **تنام**؛ الراجي يمدّ يده إلى الباب، والمتمنيّ يجلس عنده ينتظر أن ينفتح.

باب المال والولد. قال تعالى يصف خطاب الله لإبليس: «وشاركهم في الأموال والأولاد». شريك في المال حين يُكسب من حرام أو يُنفق في إسراف وتبذير، وشريك في الأولاد حين يُربون على الغفلة ويُترك قلبُ الطفل فراغاً يملؤه الباطل. فإن في بعض البيوت ثالثاً لا يُرى، يجلس على المائدة ويشارك في القرار. وقال تعالى: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين»؛ فالإسراف الأعمى أخوة مع العدو. وكذلك الربا، وقد وصف القرآن آكله بأنهم «لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»، واختلف المفسرون في موضع هذا القيام، لكنهم متفقون على أن الجشع الذي لا يشبع يُشبه الجنون.

باب الخمر والميسر. يقول القرآن: «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟» وانظر إلى الترتيب: العداوة والبغضاء أولاً، ثم الصدّ عن الذكر. ومن رأى مدمناً أو مقامراً رأى هذا التسلسل بعينه: يذهب المال، ثم الصديق، ثم البيت، ثم الصلاة، حتى لا يبقى منه إلا ظلّ. وختمت الآية بسؤالٍ هادئٍ كأنه يقول لك: بعد أن عرفت الحقيقة، ماذا أنت فاعل؟

باب الخذلان. في يوم بدر زين الشيطان للمشرّكين أعمالهم وقال لهم: «لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جائرٌ لكم»، «فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون». وفي موضعٍ آخر: «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر، فلما كفر قال إني بريء منك،

إني أخاف الله ربّ العالمين». فهذه سنّته الثابتة: **يدفعك إلى الحافة، ثم يتركك تسقط وحدك.** يعدك بالنصرة وهو أول المتخلين، ويقودك إلى الهاوية ثم يعلن براءته منها. وما أشبه هذا بكل من وثق بمن يقوده إلى الهلاك، ثم التفت فلم يجد أحداً! وفي بدر نفسها أنزل الله المطر على المسلمين «ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام». ومن معاني رجز الشيطان وسوسّته وما ألقاه في القلوب من الخوف؛ فجاء الماء سكيناً تغسل القلب مع الجسد، وتثبت القدم قبل أن يلقي العدو.

باب النزغ بين الإخوة. حين اجتمع يوسف بإخوته بعد سنين الظلم الطويلة، لم يقل لهم: أنتم الذين فعلتم، بل قال: «من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي». وكأنه، بأدب النبوة، يحمل الشيطان جانباً من الخطيئة ليحفظ للإخوة كرامتهم،

ويُصلح بالكلمة الكريمة ما أفسده الزمن. وقد أمر القرآن عباده بذلك: «وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن، إن الشيطان ينزغ بينهم، إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً». أي أن الكلمة الطيبة وقايةٌ من النزغ.

وعلاجُ ذلك مبسوَّطٌ في سورة فصلت: «ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميم. وما يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا، وما يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ». ثم يأتي بعدها مباشرةً: «وإِذَا يَنزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ». وفي هذا الجوار بين الأمر بالحلم والأمر بالاستعاذة سرٌّ بديع: أن الغضب نزغ، وأن الصبر على الإساءة لا يتم إلا بملجأ أقوى من النفس.



في الإيمان والصلاة والبيت

حين يسأل الشيطان: من خلق ربك؟ قال ﷺ: «يأتي الشيطانُ أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته». وجاء ناسٌ من الصحابة فقالوا: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم. قال: «ذاك صريحُ الإيمان». فما أرحمها من كلمة! إن هذا خاطر المؤلم الذي يفرع منه المؤمن ويكرهه، هو في ميزان النبوة علامةٌ

على حياة الإيمان لا موته؛ فإن اللص لا يطرق بيتاً خالياً.
وعلاجه لا جدال يطول، بل استعاذه ثم انصراف: أن تُغلق
الباب وتمضي.

في الصلاة. جاء عثمان بن أبي العاص إلى النبي ﷺ فقال: يا
رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي
يلبّسها عليّ. فقال ﷺ: «ذاك شيطانٌ يقال له خِرْب، فإذا
أحسسته فتعوّذ بالله منه». قال عثمان: ففعلتُ فأذهبه الله
عني. وسُئِلَ ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاسٌ
يختلسه الشيطانُ من صلاة العبد». اختلاس! كأن الصلاة كنزٌ،
والشيطان لصٌّ يتسلل ليخطف منها لحظةً بعد لحظة. وما
أصدقها على كل من وقف يصلي فإذا قلبه في مئة مكان!
ودواؤها أن يعود المصلي كلما شرد، ولا ييأس.

على عتبة البيت. قال ﷺ: «أغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً». وقال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء». فتأمل: ذكر واحد عند الباب يمنع ضعفاً ثقيلاً من المبيت! وفي الطعام: «إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله». فصار أدب المائدة جزءاً من معركة لا تُرى، وصارت أبسط حركات اليوم عبادةً وحراسة.

في النوم واليقظة. قال ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان». وقال: «التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك منه الشيطان». حتى التثاؤب، تلك الحركة العارضة، يلتفت إليها النبي ﷺ ويعلم فيها أدباً. وقال: «إذا استيقظ أحدكم من

منامه فليستنثر ثلاثاً، فإن الشيطان يبیت علی خيشومه». هكذا يتتبع الحديث حياة الإنسان من الاستيقاظ إلى النوم، ليُشعره أن الله لم يترك له لحظة بلا هداية.

الاستقامة تُبعد الشيطان. قال ﷺ لعمر رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك». فهل رأيت أعظم من هذه الشهادة؟ إن الإنسان المستقيم المهيب لا يأمن الشيطان طريقه، فيتحول عنه. وفيها أن الصلابة في الحق ليست جفاء بل حصانة.

من أول الحياة. قال ﷺ: «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان فيستهل صارخاً من مسّة الشيطان، إلا ابنَ مريمَ وأمّه». وهذا يفسّر دعاء امرأة عمران حين وضعت مولودتها: «وإني أُعِيذُها

بك وذريتها من الشيطان الرجيم». فأول ما تلقاه الأمُّ لوليدها استعاذه، وأول ما يُرجى للطفل حمايةً، وفي هذا درسٌ لكل أبٍ وأم: أن الحراسة تبدأ قبل الكلام.

وفي رمضان. قال ﷺ: «إذا جاء رمضانُ فُتِّحت أبواب الجنة، وُعُلِّقت أبواب النار، وصُعِدَت الشياطين». ومع ذلك نرى من يُذنب في رمضان! فتأمل الدرس: إن الشيطان ليس العلة الوحيدة، وإن في النفس ميلاً قد يعمل ولو غاب المحرّض. وهذه حقيقةٌ تُنصف الإنسان وتُحمّله مسؤوليته معاً، وهي ما ختمنا به الرسالة: **الشيطان يوقظ، لكنه لا يخلق.**



الخوف والنسيان والتزيين

الشيطان يُخَوِّف. قال تعالى: «إنما ذلكم الشيطانُ يخوِّف أوليائه، فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين». نزلت في قومٍ أرجف بهم المرجفون فقليل لهم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم. وللمفسرين في الآية وجهان متكاملان. فعن ابن عباس ومجاهد وقتادة، وعليه ابن كثير: أن المعنى **يخوِّفكم بأوليائه**؛ أي يُضخِّم في صدور المؤمنين قوةً أتباعه وبأسهم حتى يقعدوا عن الحق. وقال الحسن والسدي: بل يخوِّف أوليائه **أنفسهم**، من المنافقين وضعاف الإيمان، ليقعدوا عن نصره المؤمنين. ويزيد الوجه الثاني وضوحاً أن من أخافه

الشیطان لم یبقَ له إلا أن **یتبعه ویُصْغی إلیه**، ثم یصیر هو نفسه أداةً تُخیف غیره وتؤذی المؤمنین بالإرجاف والتهویل؛ فالخائفُ یُنتج الخوف. وقد قال ابن تیمیة فی بیان هذا المعنی إن سلطان الشیطان على أولیائه یكون بإدخال المخاوف علیهم دائماً، فتُحیط بقلوبهم من كل جانب. وللخوف فعلٌ عجیب فی النفس: إنه لا یشلّ الجسد فحسب، بل **یعيد ترتیب الولاءات**؛ فمن خاف الناس أكثر مما یخاف الحق أطاعهم وعصى الحق. ولذلك جاء العلاج فی الآیة نفسها على الوجهین جميعاً: «**فلا تخافوهم وخافون**». فالقرآن لا یطلب منك أن تُلغی الخوف، فهو غریزةٌ لا تُلغى، بل أن تضعه فی موضعه، فیکون خوفك من الله هو الذي یحرّک من كل خوفٍ سواه.

النسيان والاستحواذ. يقول القرآن في وصف حال قوم ضلّوا: «استحوذ عليهم الشيطانُ فأنساهم ذكرَ الله، أولئك حزبُ الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون». و«استحوذ» لفظٌ بالغ الدقة؛ هو الغلبة التدريجية كمن يستولي على بيتِ غرفةٍ غرقةً حتى يصير صاحبه. وانظر كيف جاء النسيان **قبل** العصيان: أنساهم ذكرَ الله، ثم صاروا حزباً. فما عصى أحدٌ ربّه وهو ذاكراً لعظمته حاضرُ القلب؛ لا بد أن يغيّب الذكر أولاً، كما تُطفأ الشمعة قبل أن يُسرق البيت.

الاستزلال. وفي أحد، حين انهزم من انهزم من المسلمين، قال القرآن: «إنما استزّلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا». ما أبلغها! إنه لم يقل إن الشيطان أسقطهم من أعلى، بل «استزّلّهم»، أي دفع قدمهم فزلّت، وجعل السببَ «بعض ما كسبوا»، أي ذنباً سابقة هيأت للزلة أرضها. وهذا من أعمق ما قيل في

فلسفة السقوط: **إن الذنب القديم يمهد للزلة الكبرى؛** فمن عوّد قدمه على المنحدر الصغير لم يستغرب انزلاقها يوم الشدة. وفي ختام الآية رحمة: **«ولقد عفا الله عنهم»**، فكان الذين زلّوا لم يُتركوا لزلّتهم.

التزيين. يقول القرآن عن ملكة سبأ وقومها: **«وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون»**. ويقول: **«أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً؟»**. هذه هي المحطة الأخيرة من الطريق الذي وصفناه في فصل الخطوة الصغيرة. ليست أن يعصي الإنسان وهو يعلم أنه يعصي، فهذا لا يزال فيه باب الندم مفتوحاً؛ بل أن **يرى الباطل جميلاً**، وأن تنقلب المرأة فتريه قبحه حسناً. وعندئذٍ لا يعود يتوب، لأن التوبة تبدأ باستقباح الذنب. وأقصى ما في الشقاء أن يطمئن الشقي إلى شقائه، وأن يدافع عنه بحماسة المحبّ.

عبادة بلا سجود. قال إبراهيم لأبيه: «يا أبت لا تعبد الشيطان، إن الشيطان كان للرحمن عصياً». وقال تعالى لبني آدم: «ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان، إنه لكم عدو مبين؟». قد يستغرب القارئ: من الذي يسجد للشيطان؟ ولكن القرآن يعدّ **الطاعة المطلقة عبادة**. فمن أطاع هواه حيث قاده الوسواس، وسلّم لإملاءاته بلا مراجعة، فقد اتخذ إلهاً غير الله، وإن لم يُقم له معبداً. وما أكثر من يظنون أنهم أحرار وهم أسرى خاطرٍ واحد يحكمهم منذ سنين!

الولاية والسلطان. قال تعالى: «إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون». وقال في سورة النحل: «إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون، إنما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون». فهي **ولايةٌ بالاختيار**: من تولّاه تولّاه، ومن توكّل على ربه لم يجد إلى

قلبه سبيلاً. ثم يأتي المصير الذي أقسم الله عليه: «لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين». فالقصة تبدأ بكلمة «أنا خير منه» وتنتهي بمجمع الأتباع، وكل خطوة بينهما اختيار.

وحتى الأنبياء. لم يُعَفَّ الأنبياء من هذه المعركة. فهذا أيوب ينادي ربّه: «أني مسني الشيطانُ بنُصْبٍ وعذاب»، فيصبر ويُستجاب له. وهذا موسى، بعد أن وكز الرجلَ فقضى عليه، يقول: «هذا من عمل الشيطان، إنه عدوٌّ مضلٌّ مبين»، ثم يقول: «ربّ إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي». وفي سورة الحج يقرّر القرآن سنّةً ماضية: «وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمى ألقى الشيطانُ في أمنيته، فينسخُ الله ما يُلقى الشيطان ثم يُحكّم الله آياته». فالشيطان قد يُلقى في الطريق

الشكوك والشُّبُه، لكن الله يمحو ما يُلقَى ويحكم آياته، فلا تضع الرسالة. ومن هنا فما يعرض للمؤمن من الابتلاء ليس عيباً فيه؛ فقد عرض لمن هو أعظم منه.

وللقرآن إشارةٌ إلى أصله: «كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه». وهي من المسائل التي بحثها العلماء في كيفية كونه مأموراً مع الملائكة وهو من الجن؛ وكيفينا هنا أن العرق لم يمنعه من الفسوق، وأن الأصل الشريف لم يحمه من العصيان: فالشرف شرف الطاعة لا شرف النسب.



حصونٌ وأذكار

كأن السنة أرادت أن تقول: لا تقفوا عراءً أمام عدوٍّ يعرف طريقه. فأقامت للمؤمن حصوناً صغيرة، كل حصنٍ منها كلمةٌ أو حركة، ثم لم تُغفل من دقائق الحياة شيئاً.

حصن البيت. قال ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة». فالبيت الذي لا يُسمع فيه كلام الله يصير كالمقبرة: ساكناً بلا روح. والبيت الذي يُقرأ فيه القرآن يعمر بشيء لا يرى. وانظر كيف جعل النبي ﷺ الكلمة المسموعة حارساً للجدران.

حصن اليوم. قال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يومٍ مئة مرة... وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي». يوم كامل في حماية كلمات! وليس السرّ في العدد، بل في المواظبة؛ فمن لزم ذكر الله في نهاره لم يبق في قلبه فراغ يتسلل منه الوسواس، كما رأينا في قول القرآن.

حصن الأسرة. قال ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقَدَّرَ بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره شيطانٌ أبداً». فهكذا يبدأ حفظ الولد قبل أن يكون ولداً. وفي دعاء آخر كان النبي ﷺ يقول: «وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت». فالمعركة لا تنتهي حتى آخر نفس، والمؤمن يطلب الثبات في آخر لحظة كما يطلبه في أولها.

حصن التفاصيل. قال ﷺ: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان». وقال: «إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم». فتأمل رعاية الإسلام لتفاصيل الحياة: لقمة، وطفل عند الغروب. وفي هذا ما يُبقي الإنسان يقظاً في أصغر شؤونه، فمن حفظ الصغائر حفظ الكبائر.

حصن الليل. ذكر عند النبي ﷺ رجلٌ نام ليلةً حتى أصبح، فقال: «ذاك رجلٌ بال الشيطان في أذنيه». كنايةٌ لازعة في وصف من استثقل الفجر وغلبه النوم، فأفلت منه ورده وصلاته. وهي صورةٌ تجعل الكسل يبدو على حقيقته: ضيفاً قنراً في أذن صاحبه، لا ملاذاً يُرتاح إليه.

وإشارات الغيب. قال ﷺ: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً». وفي هذا أن للكائنات حساً بما لا نرى، وأن علينا أن نقرن كل ما نسمع بما يناسبه من الدعاء، فنجعل ما حولنا مذكّراً لا غافلاً.

وفي رؤيا النبي. قال ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي». وفي هذا حفظٌ لصورة النبوة من أن يتشبه بها العدو؛ فمن حدّثه الشيطان بصوت يدّعي أنه صوت النبي، فليعلم أن الشيطان لا يقدر على ذلك.

وعدلٌ في الختام. وجاء في الحديث أن إبليس قال: وعزّتك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله عز وجل: «وعزّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني». ألا ترى أن العدو لا يملّ، وأن الرب لا يملّ كذلك؟ هو يغوي ما

دام فيهم نَفْس، وهو سبحانه يغفر ما استغفروا. وبين الإغواء
والاستغفار يعيش الإنسان؛ فمن استكثر على نفسه أن يُغوى
فليُنظر إلى باب الغفران الذي لا يُغلق.



الشياطين والوحي والسحر

على من تنزل الشياطين؟ سأل القرآن سؤالاً وأجابه: «هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفاك أثيم». الأفاك كثير الكذب، والأثيم كثير الإثم. فالقلب الذي تعود الكذب على الناس وعلى نفسه، وتعود الإثم حتى صار طبعاً، يصير ضيافةً مفتوحةً للشياطين. وفي المقابل يقول القرآن: «إن الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكةُ ألا تخافوا ولا تحزنوا». فالقلبان يستقبلان ضيوفاً مختلفين: هذا

يستقبل مَنْ يهمس بالكذب فيزيده قلقاً، وذاك يستقبل مَنْ
يُبشّره بالأمن فيزيده سكينه. والأمر راجعٌ إلى ما اعتادته
النفس.

حراسة الوحي. لم يترك الله رسالته نهياً للشياطين. فقال في
شأن القرآن: «وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما
يستطيعون». وقال: «وما هو بقول شيطانٍ رجيم». وقال في
السماء: «وحفظناها من كل شيطانٍ رجيم، إلا مَنْ استرق
السمعَ فأتبعه شهابٌ مبین». ومعنى ذلك أن الوحي مصونٌ من
أن يُدسّ فيه أو يُختلس منه، وأن الشيطان، مهما بلغ كيده، لا
يبلغ حرمَ الوحي. وهذا مما يطمئن المؤمن: أن الكتاب الذي
بين يديه محفوظ، وأن عدوّه لا يملك أن يعبت بمصدر هدايته،
وإنما يملك أن يعبت بقلبه إن تركه مفتوحاً.

السحر. قال تعالى: «وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السَّحَرُ». ثم ذكر الملكين ببابل، وأنهما لا يعلمان أحداً «حتى يقولوا إنما نحن فتنَةٌ فلا تكفر»، وأن الناس يتعلمون منهما «ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله». وانظر كيف عاد التفريق بين الزوجين مرةً أخرى ليكون أبرز ما يطلبه هذا العالم الخفي، كما رأينا في حديث السرايا. وفي الآية قيدٌ عظيم: «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»، فلا يملك ساحرٌ ولا شيطانٌ أن يضرَّ بشيءٍ إلا بإذنٍ كونيٍّ من الله، وفيها دعوةٌ إلى اليقين بأن الأمور كلها بيده، فمن اعتصم به لم يخف من وراء.

الجدالُ والتَّحريم. يقول القرآن: «وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون». هذه الآية نزلت في جدالٍ حول الميتة وما يُحرَّم ويُحلّ، وفيها أن من أطاع غيرَ الله في التحليل والتَّحريم فقد أشرك، لأن التشريع حقٌّ لله وحده. ويقول في موضعٍ آخر: «كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدوٌّ مبين». فمن أبواب الشيطان أن يُحرَّم عليك ما أحلَّ الله تزهّداً مصطنعاً، أو يُحلَّ لك ما حرَّم الله تيسيراً مزعوماً، وكلا البابين خروجٌ من العبودية إلى الهوى.

مجالس الخوض. قال تعالى لنبيّه: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره، وإما ينسيك الشيطانُ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين». فالمجلس الذي يُسخر فيه من الحق، إن حضرته فنسيته أن

تنصرف، فإنك ما إن تتذكر حتى تقوم. فالنسيان يُغتفر، لكن
البقاء بعد التذكّر خطيئة. وفي زماننا هذا، حيث تتحول
المجالس كلها إلى شاشاتٍ مفتوحة، يصير هذا الأدب القرآني
أحقّ بالتذكّر: متى تذكّرت فقم.



معارك الصلاة

تأمل أن أكثر ما جاء في السنة من مواجهات الشيطان مع الإنسان كان **عند الصلاة**. وليس هذا بعجيب: فالصلاة أقرب ما يكون الإنسان من ربه، وهي أشد ما يغيظ عدوه.

معركة النبي ﷺ. روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام يصلي فسمعوه يقول: «أعوذ بالله منك، ألعنك بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً. فلما فرغ قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهابٍ من نارٍ ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك... ثم أردتُ أخذه، والله لولا

دعوة أختنا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة». وروى الشيخان عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «إن عِفريتاً من الجن تغلّت عليّ البارحة ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني الله منه فذعّته، فأردتُ أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرتُ قولَ أخي سليمان: ربِّ هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي، فردّته خاسئاً». ما أعجب هذا! إن النبي ﷺ لم يتركه بل كان في حالٍ من القوة والتمكّن، ثم كفّ لأدبٍ مع أخيه سليمان. وفي هذا أنّ أعظم الخلق لم يُعَفّ من المواجهة، وأنه واجهها بالاستعازة واللعن والعزم، لا بالذعر.

دموع الخصم. قال ﷺ: «إذا قرأ ابنُ آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أمر ابنُ آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرْتُ بالسجود فأبيتُ فلي النار». فإبليس

حين يرى سجدةً يتذكر سجدته الضائعة. وهكذا يُعيد الحديث مشهدَ الفصل الأول: كلمةٌ واحدة منعت سجدةً واحدة، فلم يخسر سجدةً بل خسر كل شيء. وفي سجدة التلاوة التي نسجدها في لحظة هادئة جوابٌ صامتٌ على الكلمة القديمة: «لم أكن لأسجد»، فنقول نحن بجباهنا: «سمعنا وأطعنا».

بين المرء ونفسه. قال ﷺ: «إذا نودي بالأذان أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قُضي الأذان أقبل، حتى إذا ثُوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قُضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى». فهذه هي الصورة الدقيقة للتشتت في الصلاة: حين تنقطع الهواجس عن البال طوال النهار فإذا وقفت بين يدي الله تدفقت كلها: مواعيد وديون وأسماء! ولكن الحديث لم يتركنا بلا دواء؛ فقد قال ﷺ:

«إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى، ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا، فليطرح الشكَّ وليبنِ على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم». فالعلاج عمليٌّ بسيط: لا تفرع، ابنِ على اليقين، واسجد.

وسوسة الطهارة. شُكِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الرَّجُلُ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «لَا يَنْفَتِلْ، أَوْ لَا يَنْصَرِفْ، حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا». وَهَذَا أَوَّلُ عَظِيمٍ فِي الْفَقْهِ: أَنَّ الْيَقِينَ لَا يَزُولُ بِالشَّكِّ. وَهُوَ أَيْضًا عِلَاجٌ لِلْوَسْوَاسِ فِي الْعِبَادَاتِ: فَمَنْ أُصِيبَ بِالْحَاجِّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَوَضَّأْ جَيِّدًا أَوْ لَمْ يُتَمِّمْ شَيْئًا، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَكْلَفْهُ إِلَّا الْيَقِينَ، وَأَنَّ الِاسْتِجَابَةَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَزِيدُهُ وَلَا تُشْفِيهِ. وَإِنْ اشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ حَتَّى

عطل حياته، فليراجع معالجاً نفسياً ثقة، فإن ما وصفناه في فصل الاعتدال حق: ليست كلُّ وسوسةٍ شيطانيةً، وبعضها حالةٌ تُعالج.

وفي ترك الجماعة. قال ﷺ: «ما من ثلاثة في قريةٍ ولا بدوٍ لا تُقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية». والحديث رواه أبو داود وحسنه بعض أهل العلم. وفيه صورةٌ لافتة: القاصيةُ هي الشاة المنفردة البعيدة عن القطيع، والذئب لا يقترب من القطيع ولا من الراعي، إنما يتربص بالمنفردة. وقد ذكرنا من قبل بأن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد. وفي هذا أن الصلاة ليست علاقةً بين الفرد وربّه فقط، بل هي أيضاً حصنُ الجماعة الذي يحمي كلَّ فرد.



السلاح، وهو أبسط مما تظن

بعد كل هذا، هل نقف أمام عدوّ لا يُقهر؟ لا. فإن القرآن الذي وصف كيده، وصفه بما يسحق الخوف: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً». نعم، ضعيفاً! ليس لأنه بلا قوة، بل لأن كيده لا ينجح إلا بمعونة المكيد. فهو كمن يملك مفاتيح بابٍ لا يفتح إلا من الداخل.

وأسلحة المؤمن، إن تأملتها، بسيطةٌ إلى حد الدهشة:

الاستعاذة. «وإما ينزغُكَ من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنه سميعٌ عليم». جملةٌ قصيرة، لكنها اعترافٌ عظيم: أنا لا أقوى وحدي، فألجأ إلى من هو أقوى. وقد أمر القرآن بها عند القراءة: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم»، وعلمنا أن ندعو: «وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون». فمن أراد أن يخلو بالقرآن فليستأذن بالاستعاذة أولاً، وليطلب الحماية من همزاتهم ومن حضورهم.

الذكر. قال ﷺ: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين». وليس الأمر سحراً، بل هو **تغيير** **لاتجاه القلب**؛ فحين يُصغي الإنسان إلى نداء السماء، يضعف ضجيجُ الأرض في أذنه.

التذكّر عند الغفلة. وهذه أجمل الآيات في الباب: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ». لاحظ أنها لا تقول إن المتقين لا يمَسُّهم طائف! إنه يمَسُّهم كما يمَسُّ غيرهم. لكنهم **يتذكرون**، فتنتفتح أعينهم. فالفرق بين المؤمن وغيره ليس في غياب خاطر السيئ، بل في سرعة الاستيقاظ منه. وما الإيمان في وجهٍ من وجوهه إلا **ذاكرةٌ يقظة**.

التواضع. وهو السلاح الأعمق، لأنه نقيض الكلمة الأولى التي قالها إبليس. من قال «أنا خير» فتح للشيطان بابه، ومن قال «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» أغلقه.

الجماعة. قال ﷺ: «عليكم بالجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد». فالوحدة المطلقة والانعزال المرير مرتعٌ للوساوس، وكم من فكرة سوداء ماتت حين قيلت

بصوتٍ عالٍ لصديقٍ أمين.

الإخلاص. وهو الاستثناء الذي اعترف به إبليس بلسانه:
«لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُخْلَصِينَ». فالعدوُّ نفسه يُقرُّ بأنَّ في الناس من لا سبيل له
إليهم؛ وهم الذين خلصت وجهتهم لله، فلم يبقَ في القلب
موضعٌ يشاركه فيه غيره.



ميزانُ الاعتدال

بعد كل ما مضى من الكلام عن الشيطان، لا بد من وقفةٍ تحفظ التوازن؛ فإن من الأخطاء أن نجعل كلَّ شيءٍ من الشيطان، كما أن من الأخطاء أن نُنكر أثره.

للنفس نصيبٌ. يقول القرآن: «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تُوسوس به نفسه». فالنفسُ توسوس أيضاً. وقال يوسف عليه السلام: «وما أبرئ نفسي، إن النفسَ لأمارةٌ بالسوء إلا ما رحم ربي». فمن الخواطر ما يخرج من داخلنا بلا محرّض، ومن

الذنوب ما يُرتكب بالهوى وحده. ومن ظنَّ أن لا ذنب إلا
بشيطان فقد برأ نفسه، وهذا هو الباب الذي يدخل منه
العجب.

ليس كل ألم مسأً. ومن الخلط الخطير أن يُنسب كل مرض
نفسِي أو جسديٍّ إلى الشيطان أو الجنِّ. فإن من الناس من
يعاني من **وساوس قهرية** أو قلقٍ أو اكتئاب، وهي حالاتٌ
صحية معروفة لها علاجٌ طبيٌّ ونفسي، وليست دليلاً على ضعف
إيمانٍ ولا على استيلاء الشيطان. وقد أمرنا النبي ﷺ بالتداوي،
فقال: **«تداووا عباد الله، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له
دواءً»**. فمن عانى من أفكارٍ تلحُّ عليه فلا يجوز أن يُترك لوحده
ولا أن يُلام، بل يحسُن أن يستعين بطبيبٍ أو معالجٍ نفسيٍّ ثقةٍ
إلى جانب الذكر والصلاة؛ ولا تعارض بين العلاجين، فكلاهما
من الله.

لا تجعل الشيطانَ عذراً. ومع كل ما قلناه، يبقى الميزانُ الأول: «ما كان لي عليكم من سلطانٍ إلا أن أدعوتكم فاستجبتم لي». فمن وقع في معصيةٍ وقال: الشيطان هو الذي دفعني، فقد خالف الآيةَ التي نطق بها إبليس نفسه. إن الوعي بوجود العدو ليس رخصةً لتحميله ذنوبنا، بل هو دعوةٌ إلى مزيدٍ من اليقظة.

وعلى هذا الميزان، يستقيم الأمر: إنسانٌ لا يخاف خوفاً أعمى، ولا يستخفّ استخفافاً أحمق؛ يعرف أن له عدواً، ويعرف أن له نفساً، ويعرف أن له رباً أرحم به من نفسه.



حكمةُ الابتلاءِ وآدابُ المواجهة

لماذا سُلِّطَ؟ يسأل كثيرون: لماذا خلق الله عدوًّا كهذا؟
والقرآن يلمّح إلى الجواب: «وما كان له عليهم من سلطانٍ إلا
لنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ». فليس
سلطانُه إلا أن يُظهر معادنَ الناس؛ كما يُحَكِّ الذَّهَبُ على
المِخْكِ فيظهر الصافي من المغشوش. وعالمٌ لا عدوَّ فيه لا
اختيار فيه، ولا اختيار بلا امتحان. وقد علم الله ما سيكون
أزلاً، لكنه أراد أن يقوم الجزاء على ما ظهر في الواقع من
اختيار الإنسان لا على ما سبق في العلم وحده، فكان الابتلاءُ
ميزاناً يُقيم الحجة.

نسيانٌ لا يُلام عليه. قال فتى موسى: «فإني نسيْتُ الحوتَ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أن أذكره». لقد نسي نسياناً عارضاً، وردّه إلى أصله، من غير أن يتخذهُ عنراً للتفريط. وفي هذا أن الغفلة قد تعرض حتى لأهل الفضل، وأنها غير الإصرار؛ فالنسيان يُتدارك بالتذكّر، والإصرارُ يحتاج إلى توبة.

كُلُّ الدين أو لا شيء. قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلْمِ كافّةً ولا تتبعوا خطواتَ الشيطان، إنه لكم عدوّ مبين». فالنصف الذي تتركه من الدين هو الباب الذي يدخل منه. وكم من إنسانٍ يؤدي الصلاة ويأكل الحرام، ويصوم ويظلم، يحسب أنه محصّن بما أدّى، والعدوّ قانعٌ منه بما أهمل! والمطلوب أن يُسَلِّم الإنسانُ وجهه كلّهُ، لا بعضه.

الخلوة. قال ﷺ: «لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان». فالخلوة التي يظنها صاحبها أماناً هي المكان الذي يُحسن فيه الشيطانُ أن يعمل بعيداً عن العيون، وهي من «الخطوات» التي حذر منها القرآن. وكم من هدمٍ بدأ بخلوةٍ بريئةٍ في ظلِّ أصحابها!

الخلاء. كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخُبثِ والخبائث». والخبث، عند أهل العلم، ذكرانُ الشياطين، والخبائث إناثهم. فحتى هذا الموضع الذي يخلو فيه الإنسان بنفسه قد جعل له الشرعُ حارساً من الدعاء، فما في الحياة موضعٌ لا يُذكر فيه الله إلا وللمؤمن فيه سلاح.

ولا تسبّه. قال ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنه يتعاضم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوّتي. ولكن قل: بسم الله، فإنه يتصاغر حتى يكون مثل الذباب». تأمل هذا السرّ: إن السباب

يُضَحِّمُ عَدُوًّا كُلَّ طَعَامِهِ الْكَبِيرِ، فَيَزِدُّهُ انْتِفَاحًا، وَإِنْ الذِّكْرُ
وَالْتَوَاضَعُ يُصَغِّرَانِهِ. وَهَذَا يَعُودُ بِنَا إِلَى الْكَلِمَةِ الْأُولَى: «أَنَا خَيْرٌ
مِنْهُ». فَأَعْظَمُ جَوَابٍ عَلَى كِبْرِيَاءِهِ لَيْسَ أَنْ تُشْتَمَهُ، بَلْ أَنْ
نَخْضَعُ لِلَّهِ فَلَا يَجِدُ فِي خُضُوعِنَا مَا يَتَغَدَّى مِنْهُ. وَلَا يَعَارِضُ هَذَا
مَا رَأَيْنَاهُ مِنْ اسْتِعَاذَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَعْنِهِ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ طَرْدُ
لِعَدُوِّ حَاضِرٍ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْمُنْهَيُّ عَنْهُ فَهُوَ السَّبُّ الَّذِي يَخْرُجُ
مِنَ الْغَاظِبِ عِنْدَ عَثْرَتِهِ.

خاتمة



الشيطان لا يخلق فيك الشر، بل يوقظه

لقد سرنا في هذه الرسالة من مشهد الملائكة إلى مشهد القيامة، ومن قصة آدم إلى أسرة المؤمنين، فماذا بقي؟

بقيت حقيقة واحدة، هي لبُّ العلاقة كلها: **الشيطان لا يخلق في الإنسان شيئاً**. إنه لا يزرع بذرة لم تكن فيه، وإنما يسقي بذوراً موجودة؛ ما كان الكبر ليُنبت لو لم تكن في النفس أرضٌ للكبر، ولا الشهوة ليشتعل لهيبها لو لم يكن فيها وقود. إنه الخصم الذي يعرف نقاط ضعفك أكثر مما تعرفها، ولكنه **لا يملك أن يُحرّكك إلا بما فيك**.

وهذا هو سرُّ عظمة الإنسان في التصور الإسلامي: هو ضعيفٌ،
«وُخِّلِقَ الإنسانُ ضعيفاً»، ولكنه **مسؤول**. وهو معرّضٌ للإغواء،
ولكنه **قادرٌ على الرفض**. وهو يسقط، ولكن **باب العودة**
مفتوح. فهذا الإنسان الذي أمر الملائكة بالسجود له، لم يُكرِّم
لأنه معصوم، بل لأنه حاملٌ لأمانةٍ أبت السماوات والأرض أن
تحملها: أمانة الاختيار.

وعلى ذلك، فالنظر الصحيح إلى الشيطان ليس خوفاً ولا
استخفافاً، بل **يقظة**. أن تعرف أن في الطريق عدواً، ولكن
في يدك سلاحاً؛ وأن تسقط، ولكن تنهض؛ وأن تسمع الهمس،
ولكن تسأل: **من يُحدّثني؟ وإلى أين يدعوني؟**

وإذا جاءك يوماً صوتٌ يقول لك: «أنت أفضل من فلان»، أو
«لا بأس بهذه المرة»، أو «سيُغفر لك على أي حال»، أو «لن
يعلم أحد»، فتذكّر أن هذه الأصوات قديمة قدم آدم، وأن

صاحبها قد أخبرك بنفسه، يوم الحساب، أنه لم يُجبرك على شيء. وأن كلّ ما في الأمر أنه **دعاك**، وأنت **إن شئت لم تُجب**.

والحمد لله الذي جعل من ضعفنا مقاماً للتوبة، ومن عدونا سبباً ليقظتنا.

ملحق



مصادر الآيات والأحاديث

رمز «متفق عليه» يعني أن الحديث رواه البخاري ومسلم. وما كان في إسناده كلامٌ نبهنا عليه. وأرقام الآيات بحسب المصحف المتداول. وهذه الإحالات تُعين على التثبت، ولا تغني عن الرجوع إلى كتب التفسير والحديث وشروحيها.

تمهيد. لا آيات ولا أحاديث مقصودة.

الفصل الأول. الآيات: الحجر ٣١-٣٣ و٣٦؛ الأعراف ١٢؛ ص ٧٦ و٨٢. الأحاديث: «بطر الحق وغمط الناس»: رواه مسلم.

الفصل الثاني. الآيات: فاطر ٦؛ الأعراف ٢١ و٢٧.

الفصل الثالث. الآيات: البقرة ١٦٨ و٢٠٨ و٢٦٨؛ النور ٢١. الأحاديث: «يجري من ابن آدم مجرى الدم»: متفق عليه (حديث صفية بنت حيي).

الفصل الرابع. الآيات: إبراهيم ٢٢؛ الحجر ٤٢؛ ق ٢٧.

الفصل الخامس. الآيات: الأعراف ١٦-١٧ و ٢٢-٢٣ و ٢٦؛ الحجر ٣٩؛ طه ١٢٠. الأحاديث: «كل ابن آدم خطاء»؛ رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد، وحسنه بعض أهل العلم.

الفصل السادس. عقد الشيطان على قافية الرأس: متفق عليه. استعادة المغضب (حديث سليمان بن صُرد): متفق عليه. «إن الغضب من الشيطان»؛ رواه أبو داود وأحمد، وفي إسناده كلام، وحسنه بعض أهل العلم. عرش إبليس وسراياه: رواه مسلم. «أيس أن يعبد المصلون»؛ رواه مسلم. قصة أبي هريرة وآية الكرشي: رواها البخاري.

الفصل السابع. «ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه»؛ رواه مسلم. «إن للشيطان لمة»؛ رواه الترمذي، وقد اختُلف في رفعه ووقفه، وفي إسناده كلام.

الفصل الثامن. الآيات: الأنعام ١١٢؛ الناس ٥-٦؛ الزخرف ٣٦ و ٦٧؛ الفرقان ٢٨-٢٩؛ المجادلة ١٠.

الفصل التاسع. الآيات: البقرة ٢٧٥؛ النساء ١١٩-١٢٠؛ المائدة ٩٠-٩١؛ الأنفال ١١ و ٤٨؛ يوسف ١٠٠؛ الإسراء ٢٧ و ٥٣ و ٦٤؛ الحشر ١٦؛ فصلت ٣٦-٣٤.

الفصل العاشر. «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا»: متفق عليه. «ذاك صريح الإيمان»: رواه مسلم. خِزْب (حديث عثمان بن أبي العاص): رواه مسلم. «اختلاس يختلسه الشيطان»: رواه البخاري. «أغلقوا الأبواب»: متفق عليه، واللفظ المذكور عند مسلم. «لا مبيت لكم ولا عشاء» و«يأكل بشماله»: رواهما مسلم. الرؤيا والحلم، والتثأب، والاستنثار: متفق عليها. حديث عمر «ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً»: متفق عليه. مَسَّ المولود: متفق عليه، وانظر آل عمران ٣٦. تصفيد الشياطين في رمضان: متفق عليه.

الفصل الحادي عشر. الآيات: آل عمران ١٥٥ و ١٧٥؛ المجادلة ١٩؛ النمل ٢٤؛ فاطر ٨؛ مريم ٤٤؛ يس ٦٠؛ الأعراف ٢٧؛ النحل ٩٩-١٠٠؛ ص ٤١ و ٨٥؛ القصص ١٥-١٦؛ الحج ٥٢؛ الكهف ٥٠. وفي تفسير آل عمران ١٧٥: تفسير الطبري وابن كثير، وكلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (المجلد الرابع عشر).

الفصل الثاني عشر. «إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»: رواه مسلم. ذكر المئة مرة: متفق عليه. دعاء الجماع: متفق عليه. «أن يتخبطني الشيطان عند الموت»: رواه أبو داود والنسائي، وصححه بعض أهل العلم. «يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه»: رواه مسلم. «كفوا

صبيانكم»: متفق عليه. «بال الشيطان في أذنيه»: متفق عليه. صياح الديكة ونهيق الحمار: متفق عليه. «لا يتمثل بي»: متفق عليه. «وعزتك لا أبرح أغوي عبادك»: رواه أحمد والحاكم، وصححه بعض أهل العلم.

الفصل الثالث عشر. الآيات: الأنعام ٦٨ و ١٢١ و ١٤٢؛ الحجر ١٧-١٨؛ الشعراء ٢١٠ و ٢٢١-٢٢٢؛ فصلت ٣٠؛ البقرة ١٠٢؛ التكويد ٢٥.

الفصل الرابع عشر. شهاب إبليس (حديث أبي الدرداء): رواه مسلم. العفريت (حديث أبي هريرة): متفق عليه. سجدة التلاوة وبكاء الشيطان: رواه مسلم. الأذان والتثويب والخطرة بين المرء ونفسه: متفق عليه. الشك في عدد الركعات وسجود السهو: رواه مسلم. وسوسة الطهارة (حديث عبد الله بن زيد): متفق عليه. «ما من ثلاثة في قرية»: رواه أبو داود، وحسنه بعض أهل العلم.

الفصل الخامس عشر. الآيات: الأعراف ٢٠٠-٢٠١؛ النساء ٧٦؛ الحجر ٣٩-٤٠؛ النحل ٩٨؛ المؤمنون ٩٧-٩٨. الأحاديث: إدبار الشيطان عند النداء: متفق عليه. «عليكم بالجماعة»: رواه الترمذي وأحمد، وصححه بعض أهل العلم.

الفصل السادس عشر. الآيات: ق ١٦؛ يوسف ٥٣؛ إبراهيم ٢٢. الأحاديث:
«تداووا عباد الله»: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصحّحه بعض أهل العلم.

الفصل السابع عشر. الآيات: سبأ ٢١؛ الكهف ٦٣؛ البقرة ٢٠٨. الأحاديث:
الخلوة: رواه الترمذي وأحمد، وصحّحه بعض أهل العلم. دعاء الخلاء: متفق عليه. «لا تقل تعس الشيطان»: رواه أبو داود وأحمد، وصحّحه بعض أهل العلم.

الخاتمة. الآيات: النساء ٢٨؛ الأحزاب ٧٢؛ إبراهيم ٢٢.